أحداث ١١ سبتمبر والطائرات بدون طيار الأمريكية ومشروع القناص الإسرائيلي

يبدو أن المشاعر والإدراكات الأولية التي كانت تتحكم في النزاعات بين البشر في العصر الحجري هي نفسها التي تحكم سلوكهم في عالمنا المعاصر والفارق الوحيد هو أن أنسان اليوم صار يملك أسلحة القرن الحادي والعشرين .

فبينما تدار الحروب الآن إلكترونيا وعن بُعد فإن من يديرونها لا يزالون يحملون مشاعر الثأر والانتقام وصيد الفريسة كما كان الحال في العصور البدائية هذا هو الحال الذي ينطبق على عقلية الأمريكان وحلفائهم .

أحداث ١١ سبتمبر وإسرائيل :

إن أحداث ١١ سبتمبر عام ٢٠٠١ أصابت الأمريكيين جميعاً وعلى رأسهم الإدارة الأمريكية بفقدان الاتزان وباهتزاز التفكير وبعدم القدرة علي اتخاذ القرارات السليمة فهم يرون في كل من يقوم علي التضحية بنفسه في أية عملية إرهابيا خطيراً ذلك لأن من قام بتفجير مبني مركز التجارة العالمي ركب طائرة مدنية وأقتحم بها المبني ليفجر نفسه معه وأيضاً من قام بتدمير مبني البنتاجون ركب طائرة هو الأخر وحطم وزارة الدفاع الأمريكية وهو يعلم أنه

ذاهب إلى الموت في نفس اللحظة .

وفي أعقاب ذلك ربطت الولايات المتحدة بين الإرهاب والعرب والمسلمين والذي جاء نتيجة اتهام " أسامة بن لادن " بأنه وراء ما حدث في ١١ سبتمبر وكذلك هناك علاقة بين "بن لادن وصدام حسين" وفي اعتقادي أن تلك العلاقة هي أسطورة استطاع الإسرائيليون ببراعة أن يدخلوها إلى العقل الأمريكي المهتز من أثر الصدمة العنيفة غير المتوقعة .

تصاعد رد الفعل الأمريكي :

في أعقاب أحداث ١١ سبتمبر طلبت السلطات الأمريكية من رعايا الدول العربية والإسلامية المقيمين في أمريكا بصفة قانونية تسجيل بياناتهم لدي دوائر الأمن ، للتأكد من أوراقهم وسلامة إقامتهم. ولكن ما أن توجه هؤلاء إلى مراكزالشرطة حتى تم احتجاز أعداداً كبيرة منهم وجاء ذلك في الوقت الذي أعلنت فيه قائمة تضم أكثر من ١٨ دولة عربية وإسلامية ، تفرض علي مواطنيها الذين يسافرون إلى الولايات المتحدة إجراءات التفتيش والتبصيم قبل السماح لهم بالدخول والخروج ، ولا يستثنى من ذلك غير حاملي جوازات السفر الدبلوماسية وفي هذا الإطار نقدم كل الشكر والامتنان للولايات المتحدة الأمريكية حيث مدت وزارة العدل في منتصف شهر مارس عام ٢٠٠٣ لموعد المحدد لتسجيل آلاف الطلبة والزوار من عدة دول والمقيمين بالولايات المتحدة في إدارة الهجرة والجنسية لمدة شهر

obeikandl.com

إضافي . وبموجب القرار الجديد أصبح أمام ١٩ ألف شخص من كل من مصر وإندونيسيا والأردن والكويت وبنجلاديش فترة حتى ٢٥ إبريل بدلاً من ٢٨ مارس للتوجه إلى مراكز التسجيل بإدارة الهجرة والجنسية لأخذ بصماتهم وتقديم أوراقهم وملء الاستمارات المطلوبة لذلك، وأيضا أمام ١٥ ألف شخص من كل من السعودية وباكستان فترة حتى يوم ٢١ من مارس بدلاً من٢١ فبراير للقيام بذلك .

يبدو واضحاً أن السلطات الأمريكية تسير في نفس الاتجاه الذي سارت فيه قبل ذلك عندما احتجزت عدة آلاف من ذوى الأصول اليابانية ، عقب هجوم بيرل هاربر في الحرب العالمية الثانية، وكانت قد صُدرت نداءات عقب هجمات سبتمبر ٢٠٠١ تطالب بإجراء مماثل مع عشرات الآلاف من العرب والمسلمين المقيمين في أمريكا ، واكتفت السلطات الأمريكية بالتحقيق مع من ثبتت مخالفتهم لقوانين الهجرة والإقامة ، واحتجزت أعداداً كبيرة منهم ورحلت بعضهم وأبقت على البعض الآخر حتى الآن دون محاكمة .

غير أن الإدارة الأمريكية بدأت تنزلق في الفترة الأخيرة نحو اتخاذ إجراءات استثنائية غير عادية لا تصطدم فقط بمعايير العدالة ومبادئ حقوق الإنسان ولكنها تناقض القانون الدولي ولا تقوم علي القانون والشرعية . فقد أصدر الرئيس الأمريكي جورج بوش أمراً مباشراً إلى وكالة المخابرات المركزية بالتصفية الجسدية دون محاكمة لقائمة الأسماء الذين تعتبرهم من زعماء " القاعدة" وطبقاً لهذا الأمر الرئاسي الذي وصفته بعض المصادر بأنه "ترخيص بالقتل " يسمح لعملاء المخابرات بقتل من تعثر عليه خارج أمريكا ممن وردت

أسماؤهم في هذه القائمة إذا عجزوا على إلقاء القبض عليه (الاغتيال بأي وسيلة حتى بالطائرات الموجهة بدون طيار) .

وكان الرئيس الأسبق جيرالد فورد قد أصدر قراراً عام ١٩٧٦ بمنع المخابرات الأمريكية من قتل أى إنسان بعد أن اتضح من تحقيقات أجرتها لجنة في مجلس الشيوخ ، أن المخابرات اغتالت شخصيات سياسية مثل باتريس لومومبا في الكونغو وإليندي في شيلي وحاولت اغتيال كاسترو في كوبا .

وقد ألغى الرئيس بوش الابن هذا القرار وأطلقت يد وكالة المخابرات المركزية في جميع أنحاء العالم وفي مقدمتها الدول العربية والإسلامية.

أحداث ١١ سبتمبر وطائرة القرن الواحد والعشرين UCAV

بالرغم من إعلان الولايات المتحدة عن تخطيطها لدخول الطائرة UCAVباعتبارها طائرة القرن الواحد والعشرين الخدمة الفعلية عام ٢٠١٠م إلا أن أحداث ١١ سبتمبر وتصاعد ردود الأفعال لتوجيه ضربة عسكرية ضد العراق أدى إلى الإسراع في تصنيع هذه الطائرة ويبدو أنها ستكون مفاجأة تكنولوجية خطيرة للتعامل مع الأهداف العراقية، ففي السادس والعشرين من شهر أكتوبر عام ٢٠٠٢م تم الإعلان عن إجراء تجربة ناجحة في الولايات المتحدة لأول طائرة مقاتلة دون طيار، وأشار المسئول عن برنامج تطوير الطائرة التي أطلق عليها "بوينج أكس ٤٥٠" أن الطائرة مصممة خصيصاً للمهام القتالية وتمت

obeikandl.com

تجربتها في قاعدة " إدوارد الجوية " وأكملت المناورات والعمليات المحددة لها وهبطت بسلام.

الطائرة بدون طيار "بريداتور " واستخدامها في التجسس والاغتيالات :

يبدو أن الطائرة " بريداتور " قد جاءت في أوانها ، فقد أصبحت جاهزة للعمل قبل أحداث ١١ سبتمبر بشهور قليلة عندما أطلق منها على سبيل التجريب داخل ميدان التجارب بصحراء نيفادا الأمريكية لأول مرة في ٢١ فبراير ٢٠٠١ صاروخ " هيل فاير " (Heli- HELL FIRE copter - Borne, Laser - Aimed, Fire And - Forget System) المضاد للدبابات .

وبعد أحداث ١١ سبتمبر ، واستعداداً للحملة الأمريكية على أفغانستان أرسلت الولايات المتحدة مفرزة من هذه الطائرات لتمسح عن قرب الأرض الأفغانية الوعرة ، وتصور وتسمع وترسل معلومات حية إلى مركز القيادة في فلوريدا على الشاطئ الشرقي للولايات المتحدة الأمريكية .

وترددت الأنباء في الأيام الأولى من الحرب الأفغانية أن واحدة من هذه الطائرات كانت على وشك أن تقتل الملا عمر في سيارته ، لولا أن القرار لم يتخذ في الوقت المناسب . وقرب نهاية العمليات أعلن الجنرال تومي فرانكس قائد القوات الأمريكية في أفغانستان أن هجوماً قد حدث في ٧ يناير ٢٠٠٢ على قافلة لتنظيم القاعدة شنته

obeikandl.com

طائرة " بريداتور " مسلحة بالصواريخ وتابعة للمخابرات المركزية الأمريكية .

وبدأت الولايات المتحدة مؤخراً في استخدام هذه الطائرات لتدمير وضرب وحدات الدفاع الجوي داخل مناطق حظر الطيران في العراق ، وقد صرح الجنرال ريتشارد مايرز رئيس هيئة الأركان الأمريكية المشتركة في ٢٤ أكتوبر عام ٢٠٠٢ أن ميزة الطائرة بدون طيار " بريداتور " تكمن في قدرتها على التواجد لفترات طويلة فوق منطقة معينة ، فإذا انطلقت صواريخ من الأرض لاعتراض طائرة أخرى عادية دخلت المنطقة تقوم " بريداتور " برصد مصادر النيران وتدميرها بالصواريخ .

هل استخدامات هذه النوعية من الطائرات مقدمة لحرب من نوع جديد، بمجرد ضغطه على زر داخل غرفة العمليات فيتحول الأمر الصادر من مسافات بعيدة إلى نتيجة مدمرة على الأرض؟؟ هذا ما حدث في ٣ نوفمبر عام ٢٠٠٢ ، بالقرب من سد مأرب جنوب اليمن على بعد ١٦٠ كم من مدينة صنعاء ، عندما انطلق صاروخ مضاد للدبابات موجه بأشعة الليزر طراز " هيل فاير " من طائرة أمريكية بدون طيار من طراز " بريداتور " كانت في مهمة لوكالة المخابرات المركزية الأمريكية سى . أى . إيه واتجه صوب " أبو علي الحارثي " أحد المتهمين بالانتماء إلى تنظيم القاعدة وقُتل ومعه خمسة آخرون كانوا في رفقته في سيارة خاصة قرب السد .

هل الطائرة " بريداتور " التى سحقت سيارة " أبو علي الحارثي " هي التي رصدت وضربت ؟؟

obeikandl.com

في تقديري أن " بريداتور " نجحت في العملية بمساعدة أحد العملاء على الأرض الذي تمكن من وضع جهاز في السيارة ، الجهاز اصدر شعاعاً التقطته الطائرة ، أطلقت الصاروخ على هذه السيارة بالذات دون السيارات الأخرى ومن المرجح قيام هذا العميل بإضاءة هذه السيارة بالليزر ويبدو أن هذه العملية تجربة حية لأسلحة الموت الأمريكية .

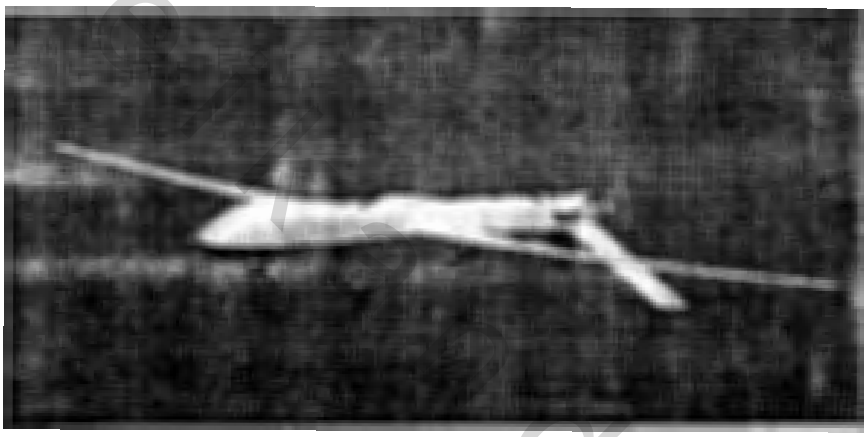

طائرة بريداتور الأمريكية المستخدمة في أعمال التجسس والاغتيالات

تحول عسكري ثوري :

والجديد في استخدام هذه الطائرات إنها تتبع جهاز المخابرات وليس القوات الجوية برغم أن عملها لا يقتصر فقط علي نشاط الاستخبارات وجمع المعلومات ، بل يمتد إلى العمل القتالي نفسه بتدمير الأهداف بعد اكتشافها وفي هذه النقطة بالذات تتجلى عملية التحول في التعامل مع الأهداف المعادية . فقد كان الأسلوب التقليدي يفصل بين عمليتين أساسيتين الأولى اكتشاف الهدف وتمييزه ،

والثانية توصيل هذه المعلومات إلى الوحدات ذات الوظيفة القتالية لعمل اللازم والقضاء على الهدف إذا كان ذلك يخدم الخطة العامة للمعركة . ولا شك أن ذلك كان يستغرق وقتا غالياً في عملية نقل المعلومات ثم اتخاذ القرار بالضرب ثم تحريك الوحدة المناسبة (طائرة مجنحة أو هليكوبتر أو غير ذلك) لتنفيذ المهمة الذي حدث هو إلغاء المرحلة التي تفصل بين اكتشاف الهدف ، وبين عملية تدميره وذلك بدمج وسيلة " اكتشاف " الهدف بوسيلة " تدميره " الأمر الذي يتناسب مع طبيعة الحرب الجديدة وتعاملها مع أفراد وجماعات تتحرك بسرعة وتظهر وتختفي . وتتبع الطائرة " بريداتور " في الأساس المخابرات كوسيلة استخبارات دائمة ترسل معلوماتها في نفس اللحظة إلي قيادة المخابرات وغرفة عمليات القيادة العليا للمعركة حيث يتخذ القرار بالهجوم والضرب في لحظة اكتشاف الهدف دون تأخير ويمثل الدمج بين الاستخبارات والضرب في لحظة واحدة وفي أداة واحدة تحولاً ثورياً في أسلوب أداء الحرب في عصر ما بعد ١١ سبتمبر .

ومن الناحية الفنية نجد أن الطائرة " بريداتور " وغيرها من الأنواع الأخرى قد جمعت بين عدد من الخصائص الأساسية لتحقيق مهمة " الاستخبارات – الضرب " أو ما يمكن أن نطلق عليه " الهجوم اللحظي " وأهم هذه الخصائص أنها محملة بترسانة من المستشعرات لكل الأغراض ، فهي ترى وتشم ويمكنها إرسال هذه المعلومات في الزمن الحقيقي إلى من يريد الاستفادة منها ، والخاصية الهامة الأخرى هي قدرتها علي البقاء فوق منطقة معينة لفترة طويلة وعلى

ارتفاعات مختلفة بدون حاجة إلى إمدادها بالوقود ، والخاصية الثالثة صعوبة كشفها بالرادار لصغر حجمها وأسلوب تصميم شكلها الخارجي وطبيعة المواد المصنوع منها ، والخاصية الرابعة حملها لوسائل نيران فعالة جاهزة للانقضاض على الهدف .

وفي الحقيقة يمكن النظر إلى الطائرة بدون طيار في ثوبها الجديد كمنصة حربية متكاملة أو كطبق طائر مثلما نتخيله في أفلام الخيال العلمي .

عملية (بريداتور) اليمن والقضايا الأخلاقية :

آثارت عملية اليمن الناجحة للطائرة " بريداتور " قضايا عسكرية كثيرة بدت أكثر وضوحاً مقارنة بلحظات أخري سابقة كانت تشهد إرهاصات بروز ملامح جديدة للحرب الحديثة . ملامح جديدة لأنها بدون إنسان (بدون طيار) ولأنها من مسافة بعيدة خارج منطقة التهديد ، بالإضافة إلى الاستعمال الثوري للذخيرة الذكية الموجهة والدقيقة . ملامح جديدة تجعل من سرعة اتخاذ القرار بمقاييس جديدة عنصرا حاسماً في تحقيق النصر . ملامح جديدة تتعلق أيضا بتعريف حجم الحرب التي تحولت إلى مجموعة معارك صغيرة بين أطراف غيرمحددين بدقة ، ولم تتحدد بعد قيمة هذه المعارك ، فربما تكون المعركة الصغيرة هي المعركة الحاسمة (تخيل أن طائرة بريداتور نجحت بالتعاون مع أحد العملاء في بغداد من توجيه صاروخ هيل فاير لتدمير العربة التي يستقلها الرئيس صدام حسين ، اعتقد أن

لتدمير العربة التي يستقلها الرئيس صدام حسين ، اعتقد أن ذلك نهاية الحرب) .

وهل من الممكن في هذا الإطار الغامض العثور على رمز شبيه بسقوط برلين في الحرب العالمية الثانية لتعلن نهاية الحرب ؟؟.

أما القصايا الأخلاقية للموضوع فقد برزت من خلال وجهه نظر ترى في حادثة الهجوم على أعضاء تنظيم القاعدة في اليمن عملية "اغتيال" وليس عملية عسكرية . وفي إطار هذه النظرة أعلن بول وولفوونز نائب وزير الدفاع الأمريكي أن الهجوم لا يعتبر تغييراً جوهرياً في حرب الولايات المتحدة ضد الإرهاب ، واعتبر وولفوونز العملية هجوماً تكتيكيا ناجحاً ، وفي نبرة دفاعية تعرض بعض المحللين لاحتمال عدم توفر الوقت الكافي لتحضير قوة للقبض على هؤلاء الأفراد المشتبه فيهم وبالتالي لم يكن أحد مستعداً للمغامرة بعدم انتهاز الفرصة المتاحة.

كذلك أكد انتوني كلارك أريند الأستاذ في جامعة جورج تاون أن الهجوم يحمل ملامح العمل العسكري وليس الاغتيال المحرم طبقاً للقانون الأمريكي ، لكنه يري أن استخدام الطائرة " بريداتور" يجب أن يتم بحرص ، وأن تشتبك الطائرة مع هدف مطلوب محدد من قبل وليس مع أية أهداف تقابلها .

مشروع القناص الإسرائيلي :

بالنسبة لإسرائيل فهي أيضا متفوقة جداً في مجال الطائرات

obeikandl.com

بدون طيار، فهو سلاح يناسب المسرح الذي تحارب عليه حيث التهديد منتشر في كل مكان – لذلك كان بنيامين بن إليعازر وزير الدفاع الإسرائيلي السابق حريصا خلال زيارته الأخيرة للولايات المتحدة في فبراير ٢٠٠٢ على أن يطلب من دونالد رامسفيلد وزير الدفاع الأمريكي أن تشترك الدولتين معاً في مشروع مشترك تكلفته ٥٠٠ مليون دولار على مدى خمس سنوات لبناء طائرة جديدة بدون طيار مجهزة بالمستشعرات والأسلحة متعددة المهام ويحمل أسم "القناص" .

والموضوع امتداداً لفكرة إسرائيلية قديمة هدفها بناء طائرة بدون طيار تحلق على ارتفاع عال وتكون قادرة علي تمييز قواذف الصواريخ وتدميرها بالإضافة إلى مستودعات الذخيرة ومعسكرات التدريب والعربات الحربية والأفراد وقد عرض الوزير الإسرائيلي طلبه وهو يضغط على نقطة أن هذا الطلب يأتي في إطار مواجهة التحديات المشتركة التي تواجه الدولتين مثل الإرهاب والصواريخ البالستية وأسلحة الدمار الشامل ، وقبل زيارة بن إليعازر قام الخبراء الإسرائيليون بشرح مشروع " القناص " للمسئولين الأمريكيين في وزارة الدفاع والطيران . وكان منطقهم أن الحرب ضد الإرهاب تستلزم وسائل قتال مرنة تنجز مهمتها بأقل تكلفة ، وهو ما يقدمه مشروع " القناص" في صورة مركبة متعددة المهام ذكية وقادرة علي القصف بقوة ودقة فالتطورات المشار إليها لم تكن بعيدة في الفترة الماضية عن مسرح العمليات التقليدي في الشرق الأوسط .